

## هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه يوم المعراج

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

مع مر الأيام وتعاقب السنين، يأتينا شهر رجب المبارك، وعلى جبينه يوم الإسراء والمعراج، تلك الرحلة السامية، وذلك التكريم والتشريف العظيم من رب العالمين لرسوله ومصطفاه، خاصة بعد أن فقد زوجه خديجة رضوان الله عليها، وعمه أبا طالب، فضاقت الأرض على الدعوة، فاستقبلته السماء بالترحيب والابتهاج، ولا يخفى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في رحلته هذه الآيات تلو الآيات، فأهداف زيارة السموات لم تكن ترفيحية وإنما جاءت لتحول إيمان النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالغيب إلى عين اليقين، فإذا استعرضنا قوائم الآيات التي أطلع الحق تبارك وتعالى عليها نبيه لوجدناها قائمة طويلة لا حد لنهايتها، فكل مشهد مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم كان ترقية لإيمانه، ومضاعفة لعلومه، ومشاهدة لعظمة الملك والملكوت، ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر:

- السموات السبع
- مخلوقات الله تعالى في كل سماء
- رأى الأنبياء في حياتهم البرزخية، وخاطبهم وخاطبوه.
- الجنة ودرجاتها وأصحاب النعيم فيها، وما أعده الله تبارك وتعالى من مظاهر إكرامه لأهل الإيمان
- رأى النار ودرجاتها وأهل الشرك والكفر والتفاق، والجبابرة والطغاة، والبغاة والزناة، وأكلي الربا ومال اليتيم، والذين يشهدون الزور ويخوضون في الأعراض،،،
- نهر الكوثر والحوض وما أعده الله تبارك وتعالى لنبيه من الكرامة والتكريم.
- سدرة المنتهى: والتي سميت بسدرة المنتهى لأن عندها ينتهي علم الخلاق، وهو مقام صريف الأقاليم، فحين يتجلى ربنا تبارك وتعالى على السدرة، ويغشاها من جلال الله تعالى، تتلقى أغصانها وأوراقها أوامره سبحانه لملائكته، يسارعون لتلقي الأوامر، ويصدقون على تنفيذها أسرع من لمح بالبصر....

وليتنا أهل الإيمان نكتفي بتأمل الإسراء والمعراج بما فيه من صور العطاء، دون أن يحاول البعض أن يضيف إليه رؤية الله تبارك وتعالى بالعين، مفسرا قوله تعالى: ( لقد رأى من آيات ربه الكبرى )

وغيرها من نصوص السنة للتأكيد على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه يوم المعراج، ويطلعون الناس في كل شهر رجب بهذا التفسير لتأكيد معجزة أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كانت النصوص بين الفريقين حاسمة وثابتة وصحيحة فلا بد أنها توصل إلى نتيجة واحدة تحسم الجدل حول الموضوع، وليس من المقبول أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه يوم المعراج ولم يره في آن واحد، أما أن يظل الجدل ممتدا لقرون عديدة ويعد فتح ملفه كل عام، معناه أن أدلة الفريقين لم تدرس جيدا، وبالتالي لم يحسم طرف النقاش لصالحه، وهذا ما سنحاوله بتوفيق الله تعالى، ولا بد أن ندرس آيات القرآن الحكيم، الذي ذكر الإسراء في صدر سورة الإسراء وقد تنزلت بعد الإسراء ولا شك، حين قال جل من قائل: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)، بينما أشارت سورة النجم إلى واقعة المعراج، بقوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاع البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى)، ومن الثابت أن سورة النجم من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، وهي أول سورة أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، وذلك الإعلان كان بين الهجرة الأولى للحبشة وبين الهجرة الثانية، أي في السنة السادسة من البعثة، وهذا يؤكد أن سورة النجم نزلت قبل المعراج بأربع إلى خمس سنوات، فما تفسير ذلك؟

ثم علينا أن ندرس أيضا ما أوردته السنة المطهرة من أحاديث شريفة وأقوال الصحابة والتابعين، على ألا نغفل السيرة المكية، فهي التي دونت هذا الحدث الجلل ضمن سياق السيرة كاملة، ويجب أن ندرس أدلة كل فريق لبيان الحق الذي لا لبس فيه، والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل،

ولنبدا أولا: بما حدث النبي صلى الله عليه وسلم قومه بعد الإسراء والمعراج؟

والجواب على ذلك: أنه أخبر قومه بإسرائه ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولم يشر إلى أحداث المعراج بكلمة واحدة، وبذلك نزلت سورة الإسراء وليس فيها أي ذكر للمعراج، ولذلك بادروا إلى أبي بكر ليترك محمدا بعد أن زعم أنه سرى إلى المسجد الأقصى وعاد في ليلته، ولو كانوا يعرفون أنه عرج به إلى السموات السبع، لقالوا لأبي بكر ما هو أشد وأكفى. وهذا يفسر السبب الواضح الجلي لكتمان الأمر في أوله، فكفار مكة لم يصدقوا ما يسمعون عن الإسراء، فما بالك لو أخبرهم بالمعراج؟

ثانيا: متى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بواقعة المعراج؟

والجواب على ذلك: أن قرار إعلام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان بأمر الله تعالى، وليس في يد النبي صلى الله عليه وسلم، وللمزيد من الإيضاح نقول: إذا رجعنا إلى المتفق عليه من أحداث السيرة المكية نجد أن هناك هجرتين إلى الحبشة، الهجرة الأولى، ثم حدث أمر على أرض مكة وصلت أنبأوه إلى مهاجري الحبشة، ففرحوا به وعاد بعضهم إلى مكة، فما هو هذا الحدث؟

تقول كتب السيرة: إن أول سورة أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وسمعتها الكفار في ملا كبير منهم هي سورة النجم، وكان ذلك في السنة الخامسة من البعثة، أي قبل الإسراء والمعراج بأربع سنوات تقريبا، فتعالوا بنا نتدبر هذه السورة المباركة، ولنقرأ الجزء الأول منها وهو: ( والنجم إذا هوى، ما ضل

صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى) (والمراد جبريل عليه السلام باتفاق)، (ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى)

ولنتوقف هنا قليلاً لتأمل الجزء الثاني المكون من ست آيات هي:

(ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى)

وإذا استكملنا قراءة الجزء الثالث من الآيات المباركات نسمع قوله سبحانه:

(أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى)،،، ويستمر تتابع الآيات القرآنية التي تحاور كفار مكة، يقول كتاب السيرة أن خبراً وصل إلى الحبشة يقول: إن كفار قريش سمعوا النبي يمدح آياتهم، ويقول: تلك الغرائق العلاء إن شفاعتهن لترتجى، فسجد الكفار مع المسلمين، فساروا بالعودة، فلحقوا أقواماً من مكة قيل أن يدخلوها نفوا لهم القصة فعدوا إلى الحبشة.

نحن هنا لا نناقش موضوع الغرائق، وإنما ننقل سبب عودة المهاجرين من الحبشة وعودتهم إليها مرة أخرى، والشاهد من كل ذلك أن سورة النجم تليت في مكة قبل الإسراء بأربع سنوات، فإذا رجعنا إلى تلاوة الآيات مرة أخرى نجد الجزء الثاني، لا يمكن أن يكون نزل بين الجزئين الأول والثالث، فهو متعلق بحدث المعراج الذي سيقع بعد أربع سنوات، ونحن ندرك أن القرآن الكريم يقص علينا أموراً ستقع في المستقبل البعيد، إلا أن قوله سبحانه: (ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى) لا يمكن أن يكون معروفاً بين المسلمين والكفار في مكة والمعراج لم يتم بعد، وتفسير هذه القضية أن هذه الآيات نزلت بعد المعراج وأمر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتبها بعد صدر السورة في موضعها الحالي بين الجزء الأول والثالث، ولما نزلت تلك الآيات الست تضمنت الإذن للنبي أن يحدث أصحابه بوقائع المعراج.

بموجب هذا البيان يجب أن نعاود قراءة الجزء الأول من سورة النجم، والتي تخاطب المشركين، بأن محمداً لا ينطق عن الهوى، وإنما ما يقوله لكم ويدعوكم إليه هو نبأ عن رب العالمين، ينقله له أمين الوحي جبريل، وهو ملك شديد القوة، وله بأس عظيم، وأنه استوى أمامه فسد الأفق الأعلى، ثم دنا منه فتدلى هابطاً من الأفق الأعلى إلى ظهر الأرض، وأيضاً هابطاً من صورته الملائكية الحقيقية إلى صورة بشرية، فكلمه وهو لا يبعد عنه خطوة واحدة، وربما ضمه إلى صدره ضمة شديدة حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ويفهم الآية الأخيرة فريق لا يتقنون العربية، ويقولون الهاء في عبده عائدة على الله، فلا بد أن يكون التدلي والذنو عانداً عليه سبحانه، وهذا شطط عجيب، فالآية تقرر أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عبده عن طريق جبريل الذي تعدد الآيات السابقة مناقبه، أو أوحى الله تعالى إلى جبريل، فأوحى جبريل أي نقل رسالة ربه إلى محمد عبد الله ورسوله.

أما الزعم بأن المقصود بصدر السورة أنه الله جل جلاله وليس جبريل عليه السلام، يضع القائل في ورطة كبيرة، فهل زعم أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه قبل المعراج؟ وهذا ما لم يقل به أحد من الأولين حتى اليوم.

وإذا تأملنا الجزء الثاني المكون من ست آيات هي: (ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى)، تبدأ الآية بلفظ ولقد، الواو تقتضي عطف الكلام الآتي على السياق السابق، فالحديث سيستمر عن جبريل عليه السلام، وفي رؤية النبي له للمرة الثانية على صورته التي خلقه الله عليها، وهذا قوله: (ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى)، فهل هناك دليل على ذلك؟ نعم نص

- الحديث المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه ابن مسعود في قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل له ست مائة جناح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، والترمذي في جامعه، والإمام أحمد في مسنده، وفي الإيمان لابن منده، والشاشي في مسنده، والسنن الكبرى للنسائي، وأبو عوانة في مسنده، وغيرهم
- الحديث الموقوف الذي يرويه ابن مسعود في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى)، قال: أبصر النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على رفرق فدل ما بين السماء والأرض، ولم يبصر ربه. أخرجه البيهقي وفي الأسماء والصفات، والبعثي في شرح السنة، وفي العظمة لابن أبي الشيخ، وفي السنن الكبرى للنسائي، والبيهقي في دلائل النبوة،
- ويشرح ابن مسعود المرتين في الحديث المرفوع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَمْ يَرِ جِبْرِيلَ إِلَّا مَرَّتَيْنِ فِي صُورَتَيْهِ، أَمَّا مَرَّةٌ فَأَيُّهُ سَأَلَهُ أَنْ يُرِيَهُ نَفْسَهُ فِي صُورَتَيْهِ، فَأَرَاهُ فَسَدَّ الْأَفْقَ، وَأَمَّا الثَّانِيَةَ إِذْ كَانَ مَعَهُ إِذْ صَعِدَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)، فَلَمَّا أَنْ حَسَّ جِبْرِيلُ عَادَ فِي صُورَتَيْهِ وَسَجَدَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) أخرجه ابن الجعد في مسنده، وابن أبي الشيخ في العظمة، وأحمد في مسنده
- أورد الذهبي في تاريخ الإسلام: عن مسروق قال: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى)؟ قَالَتْ: إِثْمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَنَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتَيْهِ النَّبِيِّ هِيَ صُورَتُهُ، فَسَدَّ أَفْقَ السَّمَاءِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ
- الحديث المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه أبو هريرة في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى)، قال: رأى جبريل أخرجه مسلم في صحيحه، والبيهقي في دلائل النبوة، والبعثي في شرح السنة
- وفي الحديث الموقوف الذي يرويه عبد الله بن مسعود بإسناد صحيح أنه قال: في قوله تعالى: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال: رأى رفرقا أخضر سد الأفق
- وفي الحديث الموقوف الذي يرويه أبو هريرة بإسناد حسن: في قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى جبريل عليه السلام.

- تؤكد الأحاديث السابقة التي رواها عبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وأم المؤمنين عائشة أن الرؤية إنما كانت لجبريل عليه السلام، وتتميز الأدلة السابقة أنها رويت مرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم، فيكون القول أكثر حسماً للقضية، مع وجود عدد لا بأس به من الأحاديث الموقوفة عليهم، وهي بطبيعة الحال لا ترتقي لمرتبة المرفوع، وإنما هي أقوال للصحابة تعزز انتشار هذا الفهم في جيل الصحابة رضوان الله عليهم.

### الحجة البيضاء عند أم المؤمنين عائشة وأبي ذر وأبي موسى الأشعري

كانت عائشة رضي الله عنها تحج البيت، وفي أيام التشريق إذ هي في خيمتها، وإذا جماعة من الصحابة والتابعين، على رأسهم عبد الله بن عباس، وفيهم مسروق، وكعب الأحبار، وعبد الله بن الحارث ولنترك له المجال ليقص علينا ما حدث يوم ذلك: اجتمع ابن عباس وكعب، فقال ابن عباس: "إننا بنو هاشم، نزرع أو نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين، قال: فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، فقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد، وموسى صلى الله عليه وسلم قرآه محمد صلى الله عليه وسلم بقلبه، وكلمه موسى"،

وجاء في تحفة الأحوذ بشرح سنن الترمذي، قول المباركفوري (لقي ابن عباس كعباً) هو كعب بن مناع الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، ثقة من الثانية مخرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام مات في خلافة عثمان وقد زاد على المائة (فسأله) أي كعباً (فكبر) أي كعب (حتى جاوبته الجبال) أي كبر تكبيراً مرتين بها صوتها حتى جاوبته الجبال بالصدى كأنه استعظم ما سأل عنه فكبر لذلك، ولعل ذلك السؤال رؤيته لله تعالى في حديث الإسراء كما سئلت عائشة رضي الله عنها فقفت لذلك شعراً. قاله الطيبى (إننا بنو هاشم) قال الطيبى: هذا بعث له على التسنين من ذلك الغيظ والتفكير في الجواب يعني نحن أهل علم ومعرفة فلا نسأل عما يستبعد هذا الاستبعاد ولذلك فكر فأجاب بقوله: إن الله قسم إلى آخره (فكلم) أي الله سبحانه وتعالى (مرتين) أي في الميقاتين (ورآه محمد) أي في المعراج (مرتين) وإذا رجعنا إلى تحفة الأحوذ بشرح سنن الترمذي، نجد المباركفوري يقول: {فسأله} أي كعباً وهذا بيان أن السائل ابن عباس حيث نصب كعباً لأنه مفعول به للفعل سأل، وهذا بيان قاطع لا خلاف عليه أن السائل ابن عباس لا كعب الأحبار.

وتعليقنا على هذا الحديث أن ابن عباس كان لديه اعتقاد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين كما يتضح من الحديث السابق حيث قال "إننا بنو هاشم نزرع أو نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين"، فأراد أن يعرف هل عند اليهود علم من التوراة أن أحداً رأى ربه؟ فسأل كعب الذي كبر، ولم يترك تلك الفرصة الذهبية فأضاف إلى قول ابن عباس فضائل لموسى عليه السلام، كما أضاف ابن عباس فضيلة يعتقد بها بنو هاشم، فيكون حديث: "أتعجبون أن تكون الرؤية لمحمد،، هو خلط بين فهم عند بني هاشم عبر عنه ابن عباس، مضاف إليه زعم عن موسى عليه السلام رواه كعب، والحق أن الله تبارك وتعالى كلم موسى عليه السلام عدة مرات أشار القرآن الكريم إلى مواضع عديدة منها، وليس مرتين فقط بزعم كعب، وهذا ما أصاب الرواية بمخالفة الواقع، فلا النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين، ولا موسى عليه السلام كلمه ربه مرتين فقط.

كل هذا ومسروق لم يتدخل وإنما أراد أن يستوثق مما سمعه ولنترك له المجال ليروي لنا ما حدث: لقي ابن عباس كعباً بعرفة، فسأله عن شيء، فكبر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إننا بنو هاشم، فقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد، وموسى، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين، قال مسروق: فدخلت على عائشة، فقلت: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء ففت له شعري، فقلت: رؤيداً ثم قرأت: لقد رأى من آيات ربه الكبرى، فقالت: "أين يذهب بك إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه، أو كنتم شيئاً مما أمر به، أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث فقد أعظم الفرية، وكجده رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سيرة المُنْتَهَى، ومرة في حياض له بيت مائة جناح قد سد الأفق" لقد أحسن الترمذي إذ أخرج هذا الحديث في جامعه مبيناً سبب وروده، فلكعب الأحبار دوره في بلورة فهم ابن عباس رضي الله عنه، ومعظم من روى الحديث بدأ بسؤال مسروق للسيدة عائشة رضي الله عنها، كما أن من روى حديث تقسيم الرؤيا والكلام بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما ومنتته: "أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم، فضج وادي منى بالتكبير"، لم يعد أن يذكر أنها رد كعب الأحبار على سؤال ابن عباس، وإنما كثيراً ما يرد منسوباً لابن عباس.

### فمن هو كعب الأحبار؟

إن كعب الأحبار يهودي ظل على يهوديته في اليمن حتى انقضت إقامة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وهاجر إلى المدينة، ثم قامت الغزوات وتتابعت الأحداث، حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم، ثم فترة خلافة أبي بكر الصديق، وحروب الردة حتى توفي الصديق وولي عمر، وظل كعب الأحبار في اليمن لثمان أو تسع سنوات مضت من خلافة عمر، وقيل مقتل عمر بعامين سافر من اليمن وقدم على عمر وأسلم، وبدأ يحدث الناس بالإسرائيليات فبلغ ذلك عمر فدعاه، وحذره إن عاد لمثلها قاتلاً: "لنتركن الحديث أو لألحقنك بأرض الفردة"، كما أورده ابن عساکر في تاريخه، ثم ما لبثت مخططات اليهود وأعوانهم من الفرس أن نجحت في اغتيال الخليفة العادل رحمة الله عليه، فعاد كعب الأحبار إلى هوايته وها هو يُستفتى من ابن عباس رضي الله عنه، ثم ينقل الرواة قول كعب بعد ذلك على لسان ابن عباس، ثم يظن البعض أن ابن عباس ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، بينما من سأل النبي هو عائشة رضي الله عنها، كما أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما أن مسروق سأل عائشة رضوان الله عليها، فقال: يا أمته هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فقالت لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب، وفي رواية أخرى: ثلاث من قالهن فقد أعظم على الله الفرية من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: فجلست فقلت أنظريني ولا تعجليني أليس الله يقول في كتابه ولقد رآه نزلة أخرى ولقد رآه بالأفق المبين؟

قالت أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها قال ذلك جبريل لم أره في صورته التي جاءني فيها إلا مرتين رأيت منهبطاً من السماء إلى الأرض سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض قالت أوليس الله يقول: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) الآية ومن قال إن محمداً صلى الله عليه وسلم كنتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد أعظم على الله الفرية والله يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) ومن قال إن محمداً يعلم ما في غد فقد أعظم على الله فرية والله عز وجل يقول: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون).

إن إجابة السيدة عائشة رضوان الله عليها شافية كافية للأسباب الآتية:

- أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم قائلة: هل رأيت ربك؟ فقال: لا بل ذلك جبريل، وفي هذا حسم القضية، وفيه التمسك بما جاء عن النبي ونبذ ما سواه.
- أنها أعدتنا جميعا إلى تأمل آيات القرآن الكريم، والبيان القرآني الحاصر لصور وحي الله إلى أنبيائه في ثلاث صور فقط ولا رابع لها، نتأملها في قوله جل شأنه: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء، وليس في هذه الآية المحكمة رؤية الله بالعين والتلقي عنه مشافهة، فهذا الرأي خارج عن صور الوحي الثلاثة، كما ذكرتنا بما ينبغي على المسلم من تنزيه الحق تبارك وتعالى عن أن يرى في الدنيا وذلك قوله تعالى: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، ويأتي حديث أبو موسى الأشعري المرفوع يقول فيه: قام فينا رسول صلى الله عليه وسلم بأربع فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفض يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجاب النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. وهنا يتسق قول النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن الكريم، وليس في حديثه أنه مستثنى من هذا المنع، أو أنه يتحمل رفع الحجب ويطبق ما يحرق الكون كله لو رفعت تلك الحجب، ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم في إجابته على سؤال أبي ذر الغفاري حيث يقول: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك عز وجل؟ فقال: نور أتى أراه.

الرأي الثاني: أدلة القائلين برؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه:

الدليل الأول: رواية شريك بن عبد الله لحديث أنس بن مالك

علينا أن نبحث في السنة عن أحاديث الإسراء والمعراج، ونلاحظ أن هناك مجموعة من الأحاديث تتناول مشهدا معينا من مشاهد الإسراء والمعراج، كأحاديث رؤية الله تبارك وتعالى على سبيل المثال، بينما وردت تفاصيل أحداث الإسراء والمعراج ٤٦٤ مرة في كتب السنة، ورواها ٣٠ صحابيا، منهم ١٣ صحابيا روى كل منهم حديثا واحدا، هم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو عبيدة بن الجراح، والنعمان بن بشير، وعاصم بن عدي العجلاني، وعمرو بن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، وصهيب الرومي، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، وعمار بن ياسر العنسي، ولقيط بن عامر بن صبرة العقيلي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، بينما تكررت أحاديث بقية الصحابة وفق الإحصاء التالي:

أنس بن مالك	١٣٣
عبد الله بن عباس	٧٠
مالك بن صعصعة المازني	٥١
عبد الله بن مسعود	٤٦
أبو ذر الغفاري	٣٣
أبو هريرة	٢٨
جابر بن عبد الله الأنصاري	٢٠
أبو سعيد الخدري	١٩
عامر بن عمرو الأنصاري	١٦
حذيفة بن اليمان العبسي	١١
شداد بن أوس الأنصاري	٩
أسماء بنت أبي بكر	٩
عبد الرحمن بن قرط الشمالي	٩
فاخنة بنت أبي طالب	٦
عائشة أم المؤمنين	٥
أبي بن كعب	٤
أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم	٢

## نقض الدليل الأول:

كل الروايات السابق الإشارة إليها تروي بعضها من مشاهد الإسراء والمعراج، دون أن تشير إلى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه، ورغم اتفاق هذه الروايات في معظم التفصيلات، إلا أن هناك زيادة خطيرة تخص بحثنا عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء والمعراج، وهذه الزيادة وقعت ضمن مكررات حديث أنس بن مالك فقط، وقد روى ابن منده في كتابه الإيمان الزيادة التالية: ((حتى جاء سدره المنتهى ودنا الجبار عز وجل رب العزة تبارك وتعالى فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه ما شاء الله فأوحى إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته)) فمن دنى فتدلى هو الجبار تبارك وتعالى وليس جبريل كسائر الروايات؟

١. عدد مكررات حديث أنس هو ١٣٣ تكراراً، كلها لم تورد هذه الزيادة إلا في ١٧ موضعاً فقط، وإذا تتبعنا إسناد هذه الزيادة نجد أنها كلها رويت من طريق واحد فقط، وهو طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر، ويقول عنه علماء الجرح والتعديل وعلى رأسهم ابن حجر العسقلاني: صدوق يخطئ، وفي مقدمة الفتح، قال: احتج به جماعة إلا أن روايته عن أنس لحديث الإسراء موضع شاذة. وقال عنه النسائي وابن الجارود: ليس بالقوي، ومرة ليس به بأس، وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: أنزل إلى مرتبة الصدوق بسبب خطئه في حديث المعراج، وشريك بن عبد الله روى له البخاري لكونه صدوق، بل إنه ذكر هذه الزيادة في كتاب التوحيد، وقد علق عليها ابن حجر العسقلاني في شرحه للصحیح ونقل قول الخطابي: ليس في صحيح البخاري حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل.
٢. من يتمسك بهذه الزيادة الشاذة التي لم يوردها ٢٩ صحابياً غير أنس، عليه أن يقبل الزيادة الثانية والثالثة التي أضافها شريك في ١١ موضعاً من تلك الروايات السبع عشرة لحديثه،
٣. الزيادة الثانية: تروي أن الإسراء والمعراج كانت قبل البعثة، حيث يقول: (أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام،،،،) وهذه الزيادة تقتضي أن الله تبارك وتعالى فرض الصلاة قبل بدأ الوحي، وقد أخرج هذه الزيادة: شرح أصول الاعتقاد، التوحيد لابن خزيمة، وجامع البيان في تفسير القرآن للطبري، والعلو للذهبي، والأسماء والصفات للبيهقي، ومعالم التنزيل للبغوي، والحاكم في المستدرک، والعلل للدارقطني، والإيمان لابن منده في موضعين، وتهذيب الآثار للطبري.
٤. الزيادة الثالثة: تروي أن الإسراء والمعراج كان مناماً: حيث يقول في نهاية الحديث واستيقظ وهو في المسجد الحرام، إن من يستند - لإثبات الرؤيا - بهذه الرواية عليه أن يعلم أنه ترك مرويات ٢٩ صحابياً ليست فيها هذه الزيادة، وتمسك برواية انفرد بزيادتها شريك بن عبد الله بن أبي نمر تاركاً ١١٦ رواية أخرى عن أنس بن مالك خلت من هذه الزيادة، وعليه في نفس الوقت أن يقبل بكون الإسراء كان مناماً وقبل البعثة مع دنو الجبار فتدلى لمحمد صلى الله عليه وسلم.

إن ما سقناه من مناقشة للدليل الأول لمن يثبت الرؤيا لم يعد لها أي سند تقوم عليه.

## الدليل الثاني: حديث موقوف على ابن عباس رضي الله عنه

ورد في كتب السنة والتفسير كثير من مكررات حديث ابن عباس رضي الله عنه، دون أن يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأحاديث:-

١. الحديث الموقوف على ابن عباس في قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) قال: ربه عز وجل أخرجه الدارقطني في الرؤيا
٢. الحديث الموقوف على ابن عباس في قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) قال: دنا ربه منه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، أخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام.
٣. الحديث الموقوف على ابن عباس في قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) قال: دنا ربه عز وجل مرتين أخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفاري للذهبي.
٤. الحديث الموقوف على ابن عباس في قوله تعالى: (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال: رأى ربه بفؤاده مرتين، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدره المنتهى قال: رأى ربه عز وجل. أخرجه الدارقطني في الرؤيا
٥. الحديث الموقوف على ابن عباس في قوله: (ولقد رآه نزلة أخرى) قال: رأى ربه عز وجل بقلبه أخرجه الدارقطني في الرؤيا في موضعين.
٦. الحديث الموقوف على ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم، وإسناده صحيح، وقد سبق بيان ظروف الحديث وملابساته، وأنه منطوق كلام كعب الأحبار، والحديث أخرجه ابن خزيمة في التوحيد، والدارقطني في الرؤيا، والحاكم في المستدرک، والنجاد في الرد على من يقول القرآن مخلوق.

## نقض الدليل الثاني:

١. الخبر انفرد بروايته صحابي واحد وهو عبد الله بن عباس، وليس له شاهد يعززه.
٢. ابن عباس رضي الله عنه لم يكن شاهداً على واقعة الإسراء والمعراج، فقد كان عمره لا يتعدى بضعة أشهر فقط، وبالتالي فهو مرسل صحابي، وهذا الخبر نقل له من صحابي آخر، أو من مصدر آخر، أو يكون الخبر معبراً على فهمه ورأيه، وبالتالي لنا أن نقيسه مع أقوال غيره من الصحابة ما دام الأمر لم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فإن بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فلا مجال لأحد.
٣. تناقض ألفاظ روايات ابن عباس: فتارة يقول أنه رآه بفؤاده، وتارة يقول رآه بعينه، وتارة رآه مرة بعينه ومرة بفؤاده، ومرة: دنا فتدلى مرتين، وإذا تناقضت شهادة شاهد سلخت عن نفسها إمكانية تصديقها.
٤. أوضح ابن عباس أن بني هاشم يعتقدون من الرؤيا، ومع هذا لم نجد أي رواية أخرى لأي منهم تؤكد انتشار هذا الفهم في بني هاشم، ونحن لا نعتقد أن هناك مفاهيم في الدين موزعة بين بني هاشم أو آل البيت وبين عامة المسلمين، ولا ينبغي أن نخرج من قضية إلى أخرى حتى نستوفي الأولى.

٥. أما مسألة تقسيم الرؤيا والكلام فقد حددنا مصدرها الذي استقى منه ابن عباس وهو كعب الأحبار، فإن الخبر ينزل إلى مرتبة الأثر المقطوع وليس الحديث الموقوف، وإن رواه صحابي، وبالتالي فهو يدخل تحت وصف رواية الأكابر عن الأصاغر إن جاز لنا اقتباس التعبير من علم الحديث.
٦. إذا كان المرئي في المرة الثانية هو الله عز وجل فأين كانت المرة الأولى وهي بحسب الرواية كانت قبل الإسراء والمعراج. إن قول ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين، ينقصه أن يبين متى كانت كل مرة منها؟ أكانتا في المعراج؟ ولو كانت الثانية في المعراج فأين ومتى كانت الأولى؟
٧. وعلى كل حال فإن حصر عدد مرات الرؤيا في مرتين يخالف واقع الحال حسب ما تصوره هذه الرواية، أو بمعنى آخر يتضمن خطأ في حساب عدد مرات الرؤيا، فرسول الله حسب زعم هذه الرواية: رأى ربه حين كلفه بالصلاة خمسين مرة، ثم نزل إلى موسى عليه السلام فقال له ارجع فاسأل التخفيف، فعاد ليرى ربه الثانية، ولا يعقل أن يراه في الأولى ثم يحجبه بعد لحظات، فخفف عن أمته خمسا، ثم نزل وعاد وهكذا وهذا يجعل مرات الرؤيا تسعا، ومعها مرة لا نعرف أهي قبل المعراج أم بعده فيكون العدد عشر مرات، فكيف تحصرها رواية ابن عباس في مرتين فقط.
٨. وأخيرا إن القول برؤية الله بالفؤاد ينضم إلى أدلة القائلين أن النبي رأى جبريل يوم المعراج، ورؤية الفؤاد لا تشترط الصعود إلى السماء السابعة، وقد تقع مناما، ويقع الفؤاد حينئذ كالحجاب الذي يوحى الله من وراءه لأنبيائه، كما خاطب موسى من جانب الطور الأيمن، أو من الشجرة.

### ثانيا: خلاصة أدلة المثبتين للرؤيا هي

١. حديث موقوف تتناقض ألفاظه بين رؤية القلب ورؤية العين، روي عن ابن عباس، والحقيقة أنه ينقله عن كعب الأحبار.
٢. يعزز قول ابن عباس زيادة شريك بن نمير التي أضافها إلى رواية أنس بن مالك حين قال: فدنا الجبار فتدلى، وقال أيضا: إن المعراج كان قبل الوحي، وأنه كان مناما وليس بالجسد والروح معا كما هو ثابت متفق عليه بين جمهور العلماء، وأن فريضة الصلاة فرضت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.
٣. يحلو لأنصار الفريق الثاني أن يقولوا: إننا نتمسك بقول ابن عباس فهو ترجمان القرآن، وبعضهم يتجراً قائلين: وما كنا لناخذ بقول عائشة ومعنا قول ابن عباس، ثم يقولون لا ندع قول ابن عباس لقول عائشة، والجواب على ذلك يحتاج إلى وقفة جادة نقول فيها:
٤. أتمسكون بقول ابن عباس رضي الله عنه الذي يرويه عن كعب الأحبار، وترفضون قول عائشة رضوان الله عليها وهي تنقله عن النبي صلى الله عليه وسلم، ترى من الذي أسري وعرج به؟ أهو النبي صلى الله عليه وسلم أم كعب الأحبار، سبحان الله العظيم.
٥. ثم إن واقعة الإسراء والمعراج وقعت في العام الذي ولد فيه ابن عباس، ومات النبي وهو لم يبلغ الحلم، فلا شك أن معلوماته عن الإسراء والمعراج قد استقاها من مصدر آخر، وهذا النوع من الأحاديث يطلق عليه المحدثون مرسل صحابي، بمعنى أن الصحابي ينقله عن غيره، وهذا ينطبق أيضا على أنس حيث كان في المدينة صبيا لا يعدو عمره الخمس سنوات، وإذا قلنا أيضا أن السيدة عائشة كانت صغيرة أيضا وقت الإسراء والمعراج فلعينا أن نبحث عن شاهد عيان معاصر لأحداث الإسراء، فإذا قلنا أبو ذر الغفاري فالرجل كان في قبيلة غفار ولم يتركها إلا بعد الهجرة كما أمره النبي صلى الله عليه وسلم، وأخيرا نجد ضاللتنا التي نبحث عنها إنه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، ذلك الصحابي الذي تزن ساقه عند الله تعالى أثقل من جبل أحد، وهو الصحابي الذي بلغ من قربه من النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعد من أهل بيته، وهو من أول الناس إسلاما، وأول من ضربه المشركون حين أسمعهم كتاب الله تعالى، فهل نترك أحاديثه رغم أنها مرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم ونتمسك بحديث لابن عباس لم يرفعه للنبي رغم تناقض ألفاظه، حيث يضرب بعضها ببعضها، وبعضها من أقوال كعب الأحبار
٦. إن القائلين برؤية الفؤاد لا يرون هذا الحديث مؤكدا على رؤية الفؤاد، وإنما يقولون رأى ربه، لذلك انتشر بين الصوفية قول جبريل للنبي يوم المعراج حين وصلا إلى سدره المنتهى: حيث توقف جبريل عن المضي قائلا للرسول صلى الله عليه وسلم: "لو تقدمت أنا لاحترقت، ولو تقدمت أنت لاحترقت"، وهذا قول لا أصل له في جميع كتب العلم، وإنما هو من وضع القصاص، ومع هذا نسمعه في ذكرى الإسراء والمعراج ويردده الكثير من الوعاظ وأدعياء العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

### الخلاصة

أدلة المثبتين رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام عند سدره المنتهى، معهم:

١. آيات من كتاب الله تعالى تنفي صورة الوحي التي تطرحها الرؤية المباشرة للحق تعالى.
٢. آيات تنزه الحق تبارك وتعالى أن يرى في الدنيا، وإجابة عملية لموسى عليه السلام حين طلب الرؤيا، أثبتت استحالة تحمل الخلق لرفع الحجب، ولو استقر الجبل مكانه، لأمكن تصور تحمل غيره من الخلق، وحين صعق موسى عليه السلام من أثر التجلي على الجبل، ويعزز هذا الفهم حديث الحبيب الذي رواه أبو موسى الأشعري.
٣. مرويات ٢٩ صحابيا تكررت أكثر من ٤٠٠ مرة ليس فيها الرؤية.
٤. إجماع أحاديث عائشة، وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة على أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ذاك جبريل، وأبي ذر حيث سأل النبي أيضا فقال نور أنى أراه
٥. فهل لنا أن نعود إلى المحجة البيضاء ونتمسك بهدي قرآننا وسنة نبينا، ولا نحيد عن الصراط المستقيم مع أي قول مخالف لهما مهما كان قائله، اللهم هل بلغت اللهم فاشهد